سمات دعوة الإمام

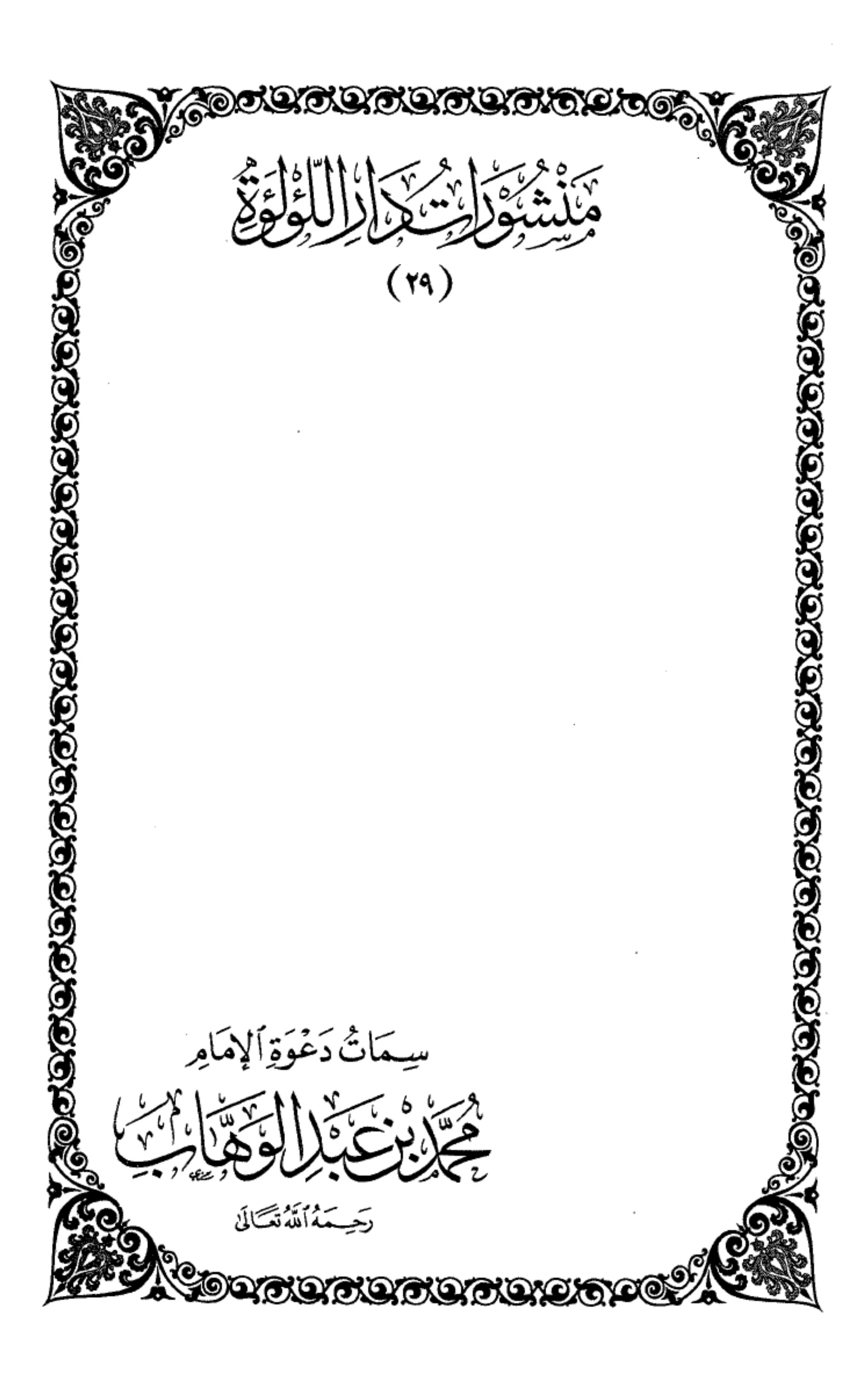
محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

تأليف

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي
أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

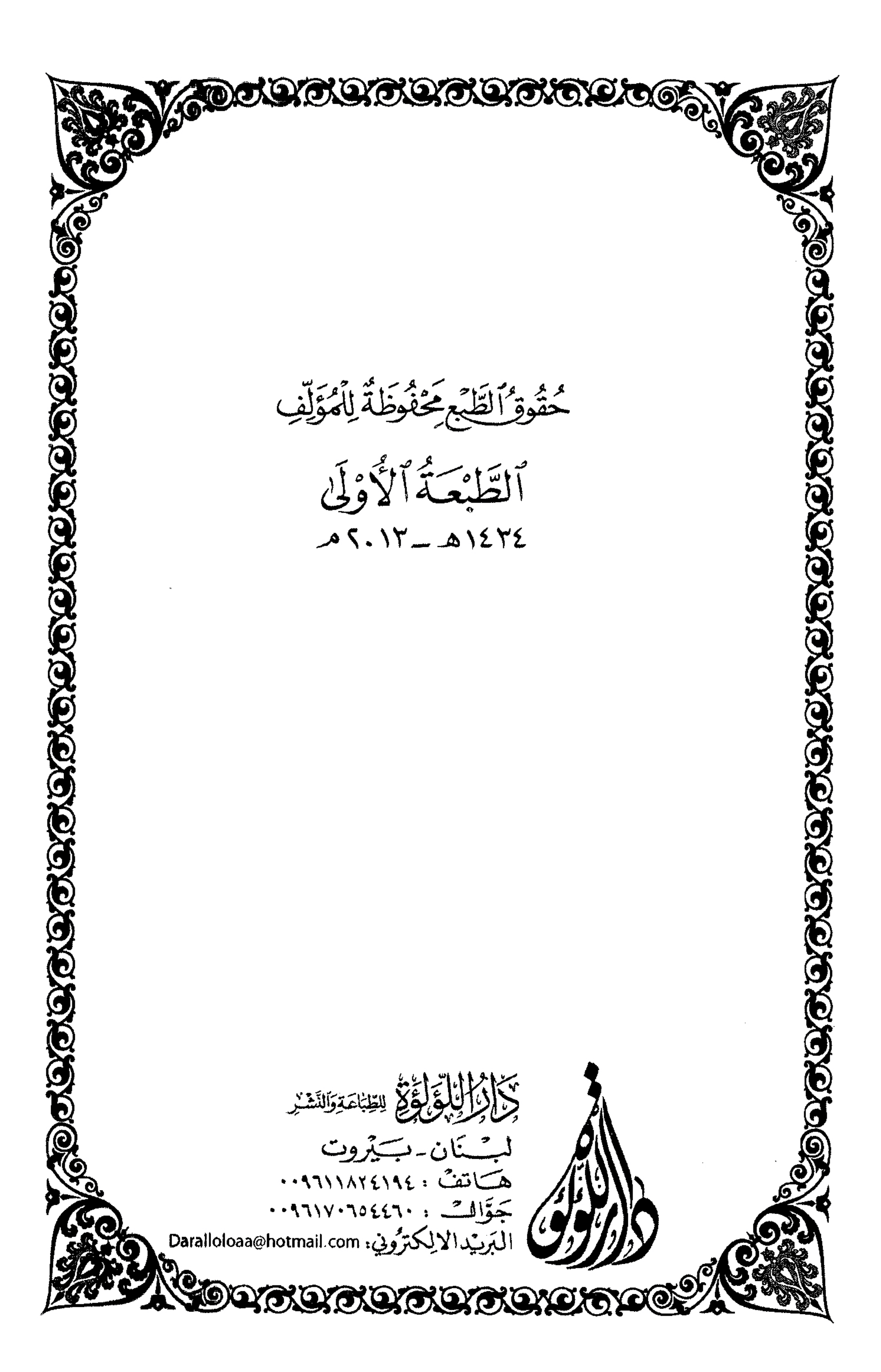



منشورات دار اللؤلؤة
(٢٩)

سمات دعوة الإمام

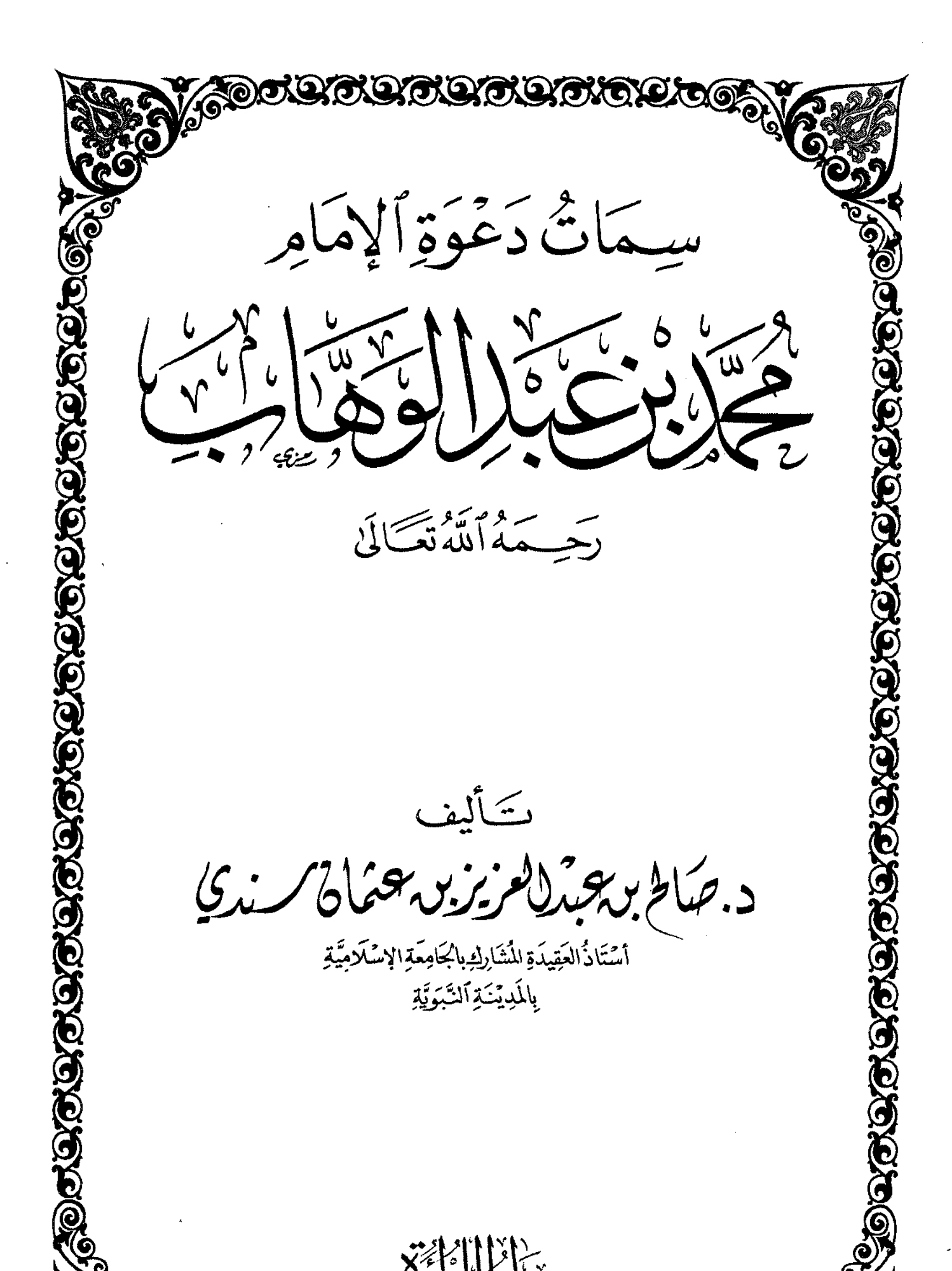
محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى



الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار اللؤلؤة للطباعة والنشر
لبنان - بيروت
هاتف : ٠٠٩٦١١٨٢٤١٩٤
جوال : ٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠
البريد الالكتروني: Daralloloaa@hotmail.com



سِمَاتُ دَعْوَةِ الإِمَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

تأليف

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أُسْتَاذُ العَقِيدَةِ المُشَارِكِ بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

دَارُ اللُّؤْلُؤَة


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَة

الحمدُ لله الذِي جَعَل في كُلِّ زَمَانٍ فَترة مِن الرُّسُل، بَقَايَا مِن أَهْلِ العِلم؛ يَدعُون مَن ضَلَّ إِلى الهُدى، ويصبرونَ منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرُونَ بِنُور الله أَهل العَمَى، فكم مِن قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضَالٍّ تائهٍ قد هَدوه، فما أحسن أثرهم على النَّاس وأقبح أثر النَّاس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغَّالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجَاهِلين.

وصلى الله وسلم على البشير النذير، والسراج المنير، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على منهاجهم إلى يوم المصير، **أما بعد**(١):

فإن من نِعم الله المتتابعة؛ أن قيَّضَ لهذا الدِّين

---

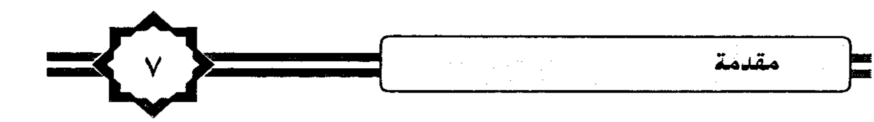
(١) أصل هذه الأوراق محاضرة ألقيت في مدينة الرياض ـ جامع الإمام تركي بن عبد الله ـ في ٢٠/ ١٠/ ١٤٣٣هـ.

عِصَابةً من أوليائه الموحدين، فوفَّقهم إلى التَّمسك بعروته الوُثقى وحبله المتين؛ فلم يزالوا للحق ناظرين، وبه ظاهرين، ولله ورسوله ﷺ ناصرين، وللباطل وأهله دَامِغين.

وإن من أعلام أولئك الميامين في القرن الثاني عشر الهجري فما بعد: الأئمة العِظام؛ أئمة الدعوة الإصلاحية؛ **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** وأبناءه وأحفاده وتلاميذه وتلامذتهم ـ رحمهم الله رحمةً واسعة ـ، فإنهم قد نهضوا بِدَعوةٍ سلفية على مِنهَاج النُّبوة، كانت امتدادً للإسلام الحق بصَفائِه ونقَائِه، أشرق ضِياؤها في قلب الجزيرة العَربية، وامتد نورها إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ولدت هذه الدعوة المباركة؛ والبيئة المحيطة بها مركَّبة من الجهالة والخُرافة والضَّعف والتَّفرق، فأنعشتها وهَذَّبتها وجمعتها.

بدأ الشيخ المجدد دعوته يجاهد بلسانه وقلمه في حدود طاقته، إلى أن جمع الله ﷻ بينه وبين الإمام المبجَّل محمد بن سعود؛ فأمَّن صاحبُ الشوكةِ صَاحبَ الدعوة، وآزره ونصره؛ فقام بما أمره الله به لا تأخذه فيه لومةُ لائم؛ فقطع الأشجار التي يُعتقد فيها، وهدم



الأضرحةَ التي يُلجأ إليها، وأقام الحدود، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

فعاداه عُلماء السُّوء، وزُعماء السُّوء، وأشاعوا عنه قَالة السُّوء، ورمَوه بالزيغ والزَّندقة، وأغروا به السُّفهاء، وألَّبوا عليه وعلى دعوته.

وهذا هو الشَّأن مع كل الدُّعَاة الصَّادِقِين من الأنبياء فمن بعدهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرقان: ٣١]، ولكن الله شاء لهذه الدعوة أن تنتشر، ولناصرها أن ينتصر، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفُرقان: ٣١]، فأين أعداؤها والمؤلِّبون عليها إذ ذاك؟ لقد فنوا وبقيت، وتلاشوا وازدادت تألُّقًا، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الرّعد: ١٧].

إذا أردتُ أن أصف هذه الدعوة الإصلاحِيَّة وصفًا صَادقًا موجزًا فإني أقول:

إنها صورة مشرقةٌ للإسلام النَّقي الذي نزل به القرآن وعرفة المسلمون قبل أن تَفشُوا بينهم الأهواء.

فقد جدَّدت الدِّين بعد دُرُوسِه، وقطعت أُصُولَ الشِّرك بعد غُرُوسِه.

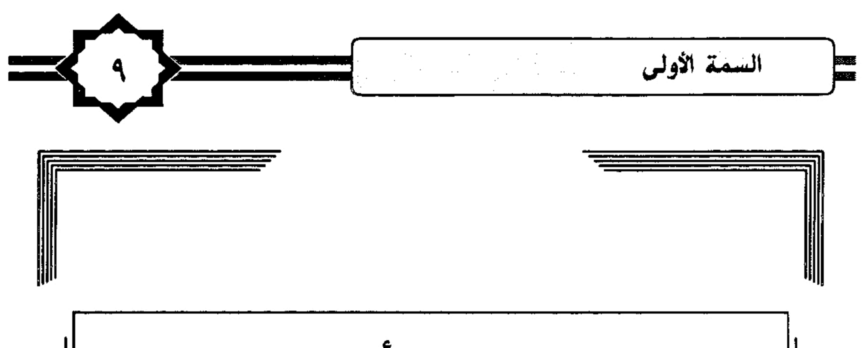
إنها ثورة .. ثورة على الجَهالات والخُرافات والظُّلم والدَّجل، إنها صَوتٌ راعِدٌ أذكى الحماسة الدينية، وألهبَ الغيرَة الإيمانية، فأيقظ عُقُولًا نَاعِسَة، ونبَّه هِممًا مُتَدنِّية.

خُلاصَةُ هذه الدعوة: أن يكونَ المسلم عزيزًا بربه؛ فلا يعرف الذُّلَّ إلا له، ولا الخوف إلا مِنه، ولا الفَزع إلا إليه؛ فإن أكبر جِنَاية على وجه الأرض أن يُخضَع بالعِبادة لسِوَاه.

لقد بيَّنت هذه الدعوة أن السَّبب الذي صيَّر النَّاس يستلينُونَ فراش الهَوان: إشراكُهُم مَع الله غيره في خَالِص حَقِّه، وما يَقتَرِفُونَ على عَتَبَات الأوليَاء مما تجأر منه الأرض والسَّماء!

إنها دعوةٌ تَأبى الابتِدَاعَ في الدِّين أشد الإِبَاء، وتُحارب المحدثات أشدَّ المحاربة، وتعتقد أن دين الله ﷻ أجل من أن يَكون عُرضَةً لمزجِه بآراء البشر، وأن تُشوّه محاسِنُهُ بأهوائِهِم.

أمَّا عن سمات هذه الدعوة ومُميزاتها فكثيرة، يُمكن أن أُلخِّصَ أَبرزَهَا فيما يَأتِي، ولعل الله ﷻ أن يَبعَث في دُعاةِ اليَوم هِمةً كتلك الهِمَّة ونشاطًا كذاك النَّشاط.



السمة الأولى لهذه الدعوة المباركة

أن الدعوة إلى التوحيد والتَّحذير من ضِده ديدنُ أَئِمَّةِ الدعوة ـ الشيخ فمن بعده، عليهم رحمة الله ـ وهِجِّيرَاهُم، والشُّغل الشَّاغِل لهم، وأكبرُ قَضيةٍ في دَعوتِهم وجِهَادِهِم.

كَان الإِمَام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ يَبعثُ كل يَوم بَعد الصُّبح وبين العِشَاءين مَن يُعلم النَّاس ويسألهم ـ كمَا يَقُول ابن بشر ـ[1] عن الأُصول الثَّلاثة: مَعرفة الله ومَعرفة رسُوله ﷺ ومعرفة دِين الإسلام بالأدلة، وما يَنبغِي عَلى العِباد لله عَزَّ وَجَلَّ مِن العِبَادة، مع التَّحذِير مِن ضِد ذَلِك، فعرف النَّاس ـ الصَّغيرُ والكَبيرُ ـ التوحيد، واستقر في قلوبهم.

مَا كَان أئِمَّةُ الدعوة يَكتفُونَ بخُطبةٍ يَتِيمةٍ أو كَلِمةٍ عابرة أو درسٍ واحد ضِمن عشراتِ الدُّروس يتكلمُونَ فيه

(١) في: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ١٤، ٩٠).

عَن التوحيد؛ كلا! بل كَانُوا يتكلمُونَ عن التوحيد صَباحَ مَساء؛ بل حتى لو تَكلم أحدُهم في غَيرِ فنِّ التوحيد فإنهُ غالبًا ما يعرج عَليه؛ فلو تكلم في الطَّهارة أو السِّيرة أو الأَخلاق فإنه يتَلمَّس المواضِع التي يُمكن أن تُفيدَ في هذا الباب العظِيم.

وكان مِن ثَمرةِ هذه العِنَاية الفَائِقَة: أن أَرست هذه الدعوة المبَاركة دَعائِم علم التوحيد، وقامَ بسببها على سُوقِه، فقُعِّدت قواعدُه، وضُبطت ضوابِطُه، وبُيِّنَت الشُّرُوطُ والأَركَان، وذُكرت التَّقاسيم والأنواع؛ فكانت مُدوناتُها ـ بحق ـ أنفَعَ ما كُتب في تَعلُّمِ التوحيد وتَعلِيمه.

كما تميَّزت دعوة أئمة الدعوة إلى التوحيد بِكونِهَا دَعوةً تَفصِيلية لا إِجمَالِية؛ جَلَّت أفرادَه، وأبرزت دقَائِقه، وحذرت من جَليِّ الشِّرك وخَفيِّه، فعمَّ نفعُها وعظُمت برَكتُها.

كمَا تميزت بعنَايتها بأَصلٍ أَصِيل وقَاعِدةٍ رَاسِخَةٍ في الشَّرع؛ ألا وهِي: **سَدُّ الذَّرائِع إلى الشِّرك، وحِمَاية جنَاب التوحيد**؛ فأبدَت فيها وأعادت، ووضحتها تَمام الإيضَاح، وبينت ما يندرج تحتها مما ينبَغِي على المسلم اجتِنَابُه من الذَّرائع القَوليةِ والفِعلية ليتَحققَ للعبدِ توحيده.

يضاف إلى ما سبق: أن أئمة الدعوة كانوا يُكثِرُون مِن التَّركيز على قاعِدتَين مُهِمتَين مُمَهِدَتَين لقَبُولِ التوحيد:

الأولى: أن الرِّجال يُعرفون بالحق، وليس أن الحق يُعرف بالرِّجال.

الثَّانِية: إزالة شُبهة الاستدلال بِكثرةِ النَّاس على الحق؛ فَكونُ الأَكثر على قولٍ أو على رأي لا يَستلزِمُ أن يَكون هُو الحق، إنما الحقُّ يُطلب من مظَانِّه؛ من كتَابِ الله ومن سُنةِ رسُوله ﷺ ويُلتَزَمُ بِه وإن كان الآخِذُ بِه قَلِيلًا.

وبالقناعة بهاتين القَاعِدتَين يسهُلُ على النَّفس قَبُولُ التوحيد والتَّخلّي عن ضِده.

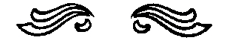
إنها دعوةٌ فريدة؛ أحسنت فهم الواقع، وقرأت الحال؛ فعرفت الدَّاء؛ فشخَّصت الدَّواء.



السِّمة الثانية
لهذه الدعوة المباركة

أَنها تميزت بِكونِها مُتَجرِّدةً عن أَيِّ هَوى أو عصبية؛ لِعِرقٍ أو لمذهَبٍ أو لإمام؛ بل مبدؤها ومُنتهَاهَا، وموردُهَا ومصدَرُهَا: كتاب الله وسُنة رَسُوله ﷺ، **فَوحَّدت الكلمة على كَلمة التوحيد**، وربَّت النَّاس على التَّجرُّدِ للنُّصُوص؛ فلم تُعلِّقهُم بقِيادَات، أو تحزِّبْهم على أشخَاص، أو تعقِد ولاءهم على انتمَاءات ـ كما هو الشَّأن في الدعوات ذات الحزبيَّاتِ الضَّيقة والمنَاهِج المحدثَة ـ .

إن أصل الموَالاة والمعادَاة سِمةٌ بارزة في نَهجِ أَئِمَّةِ الدعوة؛ غير أنه لم يَكُن معقُودًا إلَّا عَلى أساس التوحيد والحُبِّ في الله والبُغضِ في الله، وهذا أوثَقُ عُرى الإِيمَان.





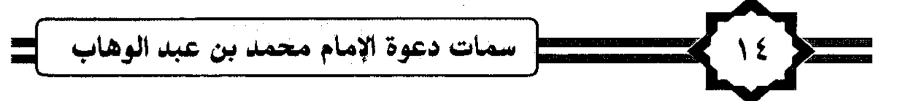
السِّمة الثالثة
لهذه الدعوة المباركة

أَلا وهِي: الشَّجاعةُ، والحزمُ، والوضُوح.

لقد كان ثمَّة دُعاةٌ للتوحيد قَبل الدعوة وفي ابتِدَائِها وبعد نشأَتِها؛ لكن خاصِّية هذه الدعوة: الشَّجاعةُ والحزمُ والوضُوح، أو كما يُقَالُ - في اللسان المعَاصِر - : إنها وضعت النقاطَ على الحروف؛ فأعطت كل ذِي حقٍّ حَقَّه، ووضعت الهدى والضَّلال في محَلِّهمَا بِدقَّة، ووصفَتهُما بما يليق بهما دُون إِعجَام، فلم يقل دعاتها في قول أو فعل شِركي - مثلًا -: لا يَنبغِي أو لا يجُوز؛ بل قَالُوا - بوضوح -: هذا شِرك أكبر مُخرج مِن الملة، مُخلد في عَذاب جَهنم.

فانظُر - يا رعاك الله - أثر هذا الوضُوح في نفوس النَّاس، وما أحوجهم إليه اليوم .





السِّمة الرَّابعة لهذه الدعوة المباركة

أنها دَعوةٌ انتَهجت الحِكمة، وراعت المصلحة.

فحِينمَا يقال: إنها دَعوةٌ شُجاعةٌ صَدَّاعةٌ بالحق؛ فإِنَّ هذا كَان يتَوازى مَع التزَام الحِكمة ورِعَاية المصلحَة.

مِن شَواهِد هذا: ما كان عليه الشَّيخ المجدِّد رَحِمَهُ اللَّهُ في أولِ دَعوتِه قبل أن تَقوى ويَصلُبَ عُودها؛ حيث كان يقفُ على من يُشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ عند قَبر زيد بن الخطاب فيقول: الله خيرٌ مِن زَيد[1]. ثم يَمضِي.

انظُر إلى الحِكمة؛ لم يَكن بإِمكَانِه أكثرُ مِن ذَلك، ولكن هذا في ذاته لا شَك أنهُ شَيءٌ كثير؛ فإِنهُ يعيد إلى

(١) نقل هذا حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما في «الدرر السنية» (٢/ ٢١١) وقال عقبه تعليلاً لفعله: (تمرينًا لهم على نفي الشرك بلين الكلام).

النُّفُوسِ رشدَهَا، ويوقظها مِن غفلتِهَا، نَعم .. الله خَيرٌ مِن زَيد، ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؟ [النَّمل: ٥٩] فلِم لا يُدعَى وحده؟ ولم لا يُلجَأُ إِليه دون ما سواه؟

فلمَّا مَكَّنَ الله ﷻ للشيخ؛ هَدم هذه القُبة ـ وغيرها ـ بيده، وهذا هُو الحزم.

وَوَضعُ النَّدى في مَوضِعِ السَّيف بالعُلى
مُضِرٌّ، كوَضعِ السَّيفِ في موضع النَّدى

فإنه لما وصل إلى القبة المذكورة، بعد أن فتح الله لدعوته القلوب ـ ومعه أمير العيينة وجمٌّ غفير من الناس ـ قال لهم: «أعطوني الفأس». فهدمها بيده حتى سوَّاها بالأرض[1].

ومِن شَواهِد انتِهَاج مسلكِ الحكمَة في الدعوة إِلى التوحيد في هذه الدعوة المباركة: مَا كانَ عليه الشيخ وأَئِمة الدعوة مِن أسلوبٍ مميز في تَألِيف المخَالفين والرِّفق بِهم، لا سِيما مَن كَان مِنهم يُرجَى فيه الخير.

فها هو الإِمَام المجدد رَحِمَهُ اللهُ يكتُبُ مُنَاصِحًا إلى شَخصٍ أَلَّفَ في الرَّد عليه وعَاداه؛ فيقول له: «فإني أُحِبُّكَ

(١) انظر: عنوان المجد (١/ ١٠ ـ ١١).

في الله، وقَد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى مِن الله مِن قبلِ هذه المكَاتِيب أن يَهديَك الله لِدينِكَ القَويم، ومَا أَحسنَك لو تَكُونَ في آخر هذا الزَّمان فَارُوقًا لدِين الله»[١].

وها هو يبعث إلى أحدِ الذين عَانى مِنهُم مُعانَاة شَديدة فيقول له: «إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك مِن أجلِّ النَّاس وأحبِّهم عِندِي»[٢].

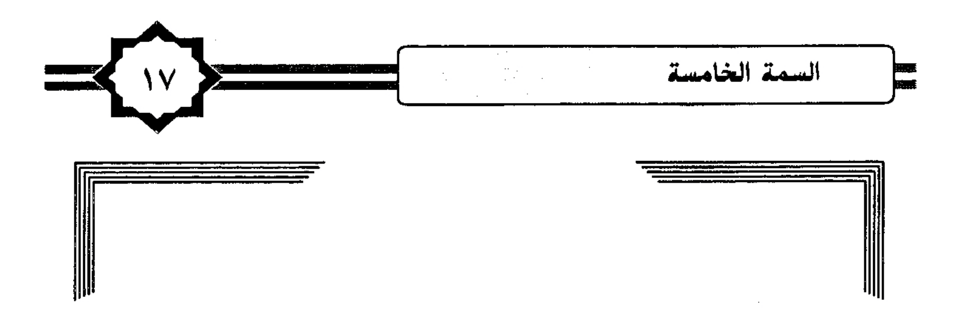
ومِن دَقِيقِ مَا يتجلَّى فيه انتهاجُ الحِكمةِ في هذه الدعوة المباركة: العِنايةُ عِندَ تأصِيل مسائل التوحيد بالنَّقل عن شَتى المذاهب، لإلزَامِ أهلِ كُلِّ مذهَب بكلامِ عُلماءِ مذهبِهم، وهذا كثير في تقريرَاتِ أئِمة الدعوة؛ حتى إن الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قال: «أنا أخاصم الحنفية بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشَّافعي والحنبلي كلًّا أُخاصِمه بكلام المتأخرين من عُلماء مَذهبه الذين يَعتمد عليهم»[٣].



(١) انظر: «الدرر السنية» (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «الدرر السنية» (٨/ ٥٩).

(٣) انظر: «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ» (المجلد ٧ ـ القسم ٥/ ٣٨).



السِّمة الخامسة لهذه الدعوة المباركة

أنها جمعت بين تَأصِيل الحقِّ ورد البَاطل؛ فلم تقُل كما قَال غيرها: بيِّن الحقَّ وامضِ، ولا تُفرق النَّاس!

كَلا؛ لقد أَبانت الحقَّ بتفاصِيله، ثم وقفت ولم تمضِ؛ بل خَاضت جَولةً أُخرى في تَزييفِ الباطِل ونقض شبُهاتِه، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

مِنَ الدِّينِ كَشفُ السترِ عَن كُلِّ كَاذِبِ
وَعن كُلِّ بِدعِي أَتَى بِالعَجَائِبِ
فَلولا رِجَالٌ مُؤمِنُونَ لهُدِّمَت
صَوامِعُ دِينِ الله مِن كل جانِبِ[(١)]

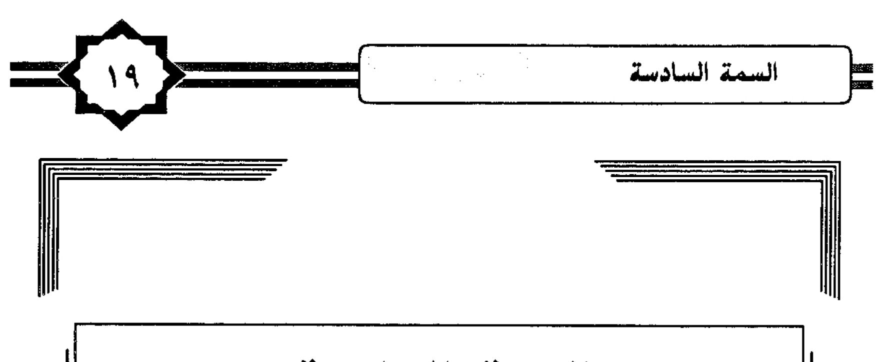
إن عنَاية هذه الدعوة بِكشفِ الشُّبُهات ودفع التلبِيسَات له أثره العَظيم في الثَّبات والرُّسُوخ، ولا غَرو

(١) بعد توفيق الله وإعانته.

بَعد ذَلك أن يَقِف العَامي ممن تَربى في هذه المدرسة الحكيمَة أمَام عالمٍ من عُلماءِ البِدعة فيَدمغُ حُجتهُ ويكشِفُ شُبهته.

هذا وقد تَميزت هذه الدعوة أيضًا: بِكونِهَا واجهت أعداءَ الحقِّ من كلِّ صنف، ونازلتهم في كلِّ بقعة؛ فلم تَدع مُبطلًا يَنشرُ بَاطله ـ غَلُظ أو خَفَّ ـ إلَّا وكان لها يَدٌ في صَدِّ عُدوانِه وكفِّ شَرِّه، جزاهم الله عن المسلمين خَير الجزاء.





السمة السادسة لهذه الدعوة المباركة

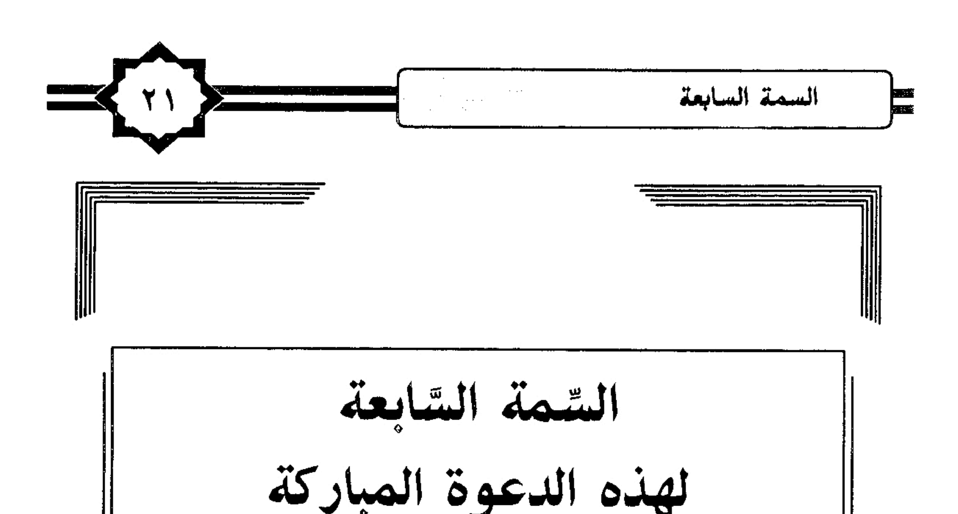
أنها دَعوةٌ عِلمية؛ إذ العلم: هو البَصِيرة التي يشُقُّ الدَّاعِية طريقه بِها.

وهذه الدعوة الإصلاحِية المباركةُ قد قَامت بحمد الله ﷻ دعوةً علميةً منهجيةً سَلفية، قَامت بسببهَا نهضةٌ عِلميةٌ غيرُ مَسبُوقةٍ في القُرُون المتأخرة، وبُعثت بِسبَبهَا كُتب السَّلف وأَئِمةِ التَّحقِيق بَعد أن اندثَرت أو كَادت، كمَا أنهَا زينت مكتباتِ العِلم بنتاَجٍ وفيرٍ مِن المؤلفات والرسائِل؛ من المختَصرات والفتَاوى والردود التي دبَّجَها أولئك الأعلام وبلغت العشرات، وفي طليعتِها السِّفران العظِيمَان: الدُّرَر السَّنية، ومجموعة الرَّسائِل والمسائل النَّجدِية.

وأَئِمة الدعوة لهم في التَّصنِيف منهَجٌ مُتميز؛ إذ لم يَكُونُوا يُؤلِّفُونَ عن تَرفٍ عِلمِي أو مُبَاهاةٍ في التصنِيف،

إنما كان ذلك منهم تابعًا للمصلَحة ولما تقتَضِيه الحَاجة، ولذا جاءت مُؤلفاتُهم سَهلةً مفهُومةً بَعيدة عن التَّكلُّفِ والتَّعقِيد، مُتميزةً بالدِّقة والتَّحقيق، أقبلَ عليها مَن قَرأهَا بشغَفٍ ونَهَم؛ فأمتعتهُ بالعِلم الصَّافي المبرَّأ من الزيف.

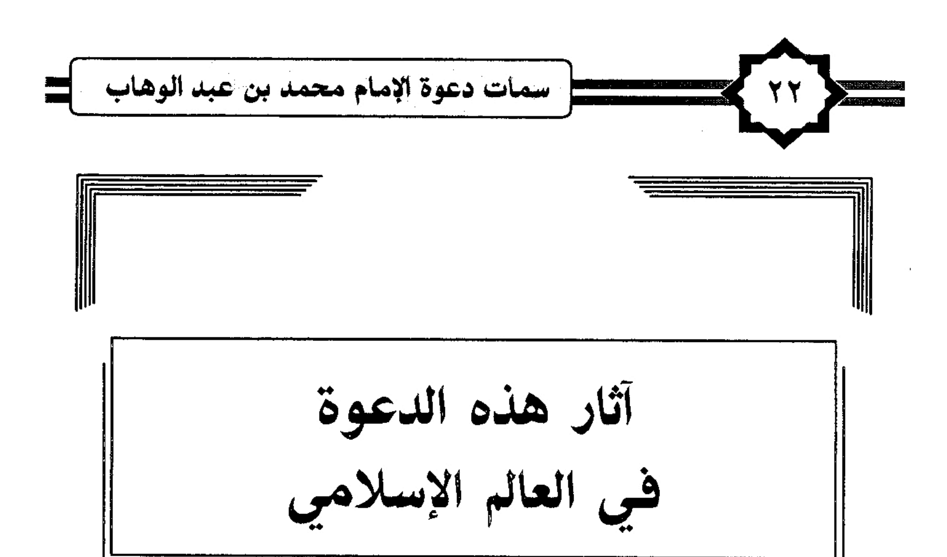




السِّمة السَّابعة لهذه الدعوة المباركة

أنها دَعوةٌ اجتمعَ فيها المصحفُ والسَّيف، واتحدَت فيها السُّلطَة مع العِلم، فانتصرت ـ فضلًا من الله ـ بالحُجة البالغة والحسام المظفر، حتى إن الولاة فيها أضحَوا من كِبار الدُّعاةِ إلى التوحيد، وهذا شَيءٌ نَادرٌ في هذه العُصور المتأخِّرة، وإنه لمن تَوفيق الله، ومن أسبَابِ تمكينِها في الأرض وذُيوعِ نفعِهَا وانتشَار خَيرهَا.





آثار هذه الدعوة في العالم الإسلامي

أمَّا عن أثار هذه الدعوة المُباركة في العَالم الإسلامِي:

فتحسن الإشارة إلى أن الدعوة إلى التوحيد نَهجٌ لم تَنفرِد بِه تلك الدعوة الإصلاحِية، لأنَّ هذا النَّهج هُو الحقُّ الذي حَملهُ العُدولُ عن العُدول في كُل زَمان، ولستُ أزعمُ أن كُل أثرٍ للسُّنةِ والتوحيد خِلال القَرنين الماضيين هو أثرٌ لهذِه الدعوة، لكن والحقُّ يُقال: **هِيَ وَاحةٌ في طَريقِ الدعوة وَارِفَةٌ، ثِمَارُها يَانِعةٌ، وخَيرُها وَفير.**

وغير خافٍ أنه ما سَمع بها أَحدٌ مِن المنصفين ـ قرُب أو بعُد ـ إلا وتَأثر بهَا أو أيّدَها.

فهَا **هِي الحِجَاز** لما بلغها صَدى الدعوة أجابها عُلماءُ مَكة، بشَهادةٍ تضمنت تأييدهم لهذه الدعوة جُملةً

وتفصِيلًا، ودوَّنُوا شَهادةً قالوا فيها: «نَشهد - ونحنُ عُلماءُ مَكة، الواضِعُون خُطوطَنا وأرقَامنا في هذا الرَّقيم - : أنَّ هذا الدِّين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ودَعا إليه إمَام المسلمين سُعود بن عبد العزيز - من توحيد الله ونَفي الشِّرك الذي ذَكره في هذا الكتاب - أنه هُو الحقُّ الذي لا شَك فيه ولا رَيب»(١).

ولعُلماءِ المدينة شَهادةٌ مماثلةٌ(٢).

وهَا هِي مِصرُ لمَّا بلغَها صَدى الدعوة أجاب علماؤها وعقلاؤها بموافقتهم لها.

فهذا مُؤرخ مِصرَ عبد الرحمن الجبرتي بعد أن سَاق في تَاريخه رسالةً للإمام المجدِّد عقَّبَ بقوله: «إن كَان كذلك؛ فَهذا ما نَدِينُ الله بِه نحنُ أيضًا، وهُو خُلاصةُ لُبَابِ التوحيد، ومَا علينَا مِن المارِقِين والمُتعصِّبِين»(٣).

وهَا هِي العِراق لمَّا بلغهَا صَدى الدعوة شَدَّ المنصِفون مِن عُلمائِهَا في الذَّبِّ عنهُم؛ فهذا علَّامَةُ

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٣١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٣١٦).

(٣) «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» (٣/ ٤٠٣).

الموصِل الشيخ عبد الله الحَسُّو رَحِمَهُ اللهُ يقول: «فالدِّين الحق والتوحيد الخَالِص هُو دِينُ الله، ومَا الوهَابِيُّونَ[(١)] وتَابِعُوهُم إلا دُعاة إلى دِين الله الخَالِص، لا إلى دِينٍ اخترعُوه كما يَزعمُ بعضُ المفترين عليهم من المغرضِين الذين أضلهم الله على علم بسبب بَغيِهِم وجَهلِهِم، والله المستعان»[(٢)].

وهَا هِي الشَّام لـمَّا بلغَها صَدى الدعوة؛ أنصفها المنصِفُون من عُلمَائِها وأُدبائِها، فهذا الأديب مُحمد كُرد عَلي يَقول: «وما ابن عبد الوهاب إلَّا دَاعِية هَداهُم مِن الضَّلالِ وسَاقهُم إلى الدِّين السَّمح»، ثم قَال: «وقد اختبرنَا عَامتهم وخَاصتهم سِنينَ طويلة، فلم نَرهُم حَادُوا عَن الإسلام قِيد غَلوةٍ، وما يتهِمُهم به أعداؤهم؛ فَزُورٌ لا أصل له»[(٣)].

وهَا هِي اليَمن لمَّا بلغَها صَدى الدعوة؛ نَاصرهَا كِبَار عُلمائِهَا وسَادةُ فقهائها كالصنعاني والنَّعمي والشوكاني، حتى إن هذا الأخير أنشَأ قصِيدةً في مَدح الإمام المبجَّل رَحِمَهُ اللهُ قال فيها:

---

(١) استعمل الشيخُ عبدُ الله هذا الوصف تنزُّلاً مع ما تواضعَ عليه خصوم الدعوة من وصفِ دعاةِ التوحيد بالوهَّابيِّين، وكأنهم توهَّمُوهُ وصفًا مُنفِّرًا!

(٢) شرح البراهين المهدية إلى العقائد المنجية (١٢٥).

(٣) القديم والحديث (١٧٣).

إِمَامُ الهُدى مَاحِي الرَّدَى قَامِعُ العِدا
وَمُروِي الصَّدى مِن فَيضِ عِلمٍ ونَائِلِ
إِلى عابِدِ الوَهابِ يُعزَى وإِنَّهُ
سُلالَةُ أنجابٍ زَكي الخَصَائِلِ
لَقَد أَشرَقت نَجدٌ بنُورِ ضِيائه
وقَامَ مقَاماتِ الهُدَى بالدَّلائِلِ(١)

وهَا هِي فَارس لما بَلغها صَدى الدعوة؛ فرح بها عُلماء السُّنَّةِ، وأنشَد في الثَّناء عليها العَلامة مُلا عِمرَان بن عَلي بن عِمرَان أبياتًا كثيرة، ومنها القَصِيدة المشهُورةُ(٢):

إِنَّ كَانَ تَابعُ أَحمَدٍ مُتَوَهِّبَا
فأَنَا المُقِّرُ بِأَنَّنِي وَهَّابِي

وها هي الهِند لمَّا بَلغَهَا صَدَى الدعوة؛ تقبلها المنصِفُون مِن عُلمائِها بقَبُولٍ حَسن، وقَامُوا في الدِّفاع عنهَا بِكُل نشَاط؛ فهذا الشيخ السَّهسَوانِي ـ من كِبار عُلماء الهند ـ يقول: «والشيخ رَحِمَهُ اللهُ [يريد الإمام المجدد] لا يُعرفُ له قول انفرَد بِه عن سَائِر الأُمة، ولا عَن أهلِ السُّنة والجَماعة منهُم، وجميعُ أقوالِه في هذا البَاب

(١) هي قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت، أوردها ابن قاسم في الدرر السنية (١٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤٦)، وانتخبت منها هذه الأبيات المذكورة.
(٢) أوردها الشيخ ابن سحمان في: الهدية السنية (١١٠ ـ ١١٢).

ـ أعني مَا دعَا إليه مِن توحيد الأسماء والصِّفات، وتوحيد العمل والعِبادات ـ مُجمَعٌ عليه عِند المسلمين، لا يُخالِف فيه إلا مَن خَرج عن سَبيلهم وعَدَلَ عن مِنهَاجِهم»[(١)].

أمَّا المغرِب فَلهَا شَأنٌ آخر؛ إذ تأثُّرُهَا بهذه الدعوة الإصلاحِية بلغَ شَأوًا أبعدَ مِن ذَلك؛ فَإنَّه قَد بلغ هَرم الدَّولة، وذلكَ بعدَ مُراسلاتٍ مَع أَئِمَّةِ الدعوة ولقَاءات، وليسَ يخفَى على المعتنين ما حَصل مِن تَأثُّرٍ بهذه الدعوة وقَناعةٍ بها مِن قِبل السُّلطان محمد بن عبد الله العَلوي وابنه سليمان وابنه إبراهِيم بن سليمان، فكُتِبت بذلك صفحةٌ مشرقةٌ مِن الدعوة السَّلفية في المغرِب العَربي.

ورحِمَ الله عَلامة المغرب تقي الدِّين الهلالي إذ قال[(٢)]:

نَسبُوا إلى الوَهَّابِ خَيرَ عِبَادِه
يا حَبذَا نَسَبي إلى الوَهَّابِ
الله أَنطَقَهُم بحَقٍّ وَاضحٍ
وَهُمُو أَهَالِي فِريَةٍ وكِذَابِ

(١) كتابه: صيانة الإنسان (٤١٩).
(٢) الحسام الماحق لكل مشرك منافق (١٣٤).

أَكْـــرِمْ بِـهــا مِـن فِـرْقَـةٍ سَـلَـفِـيـةٍ
سَـلَـكَت مَـحَـجَّـةَ سُـنَّـةٍ وَكِـتَـابِ
وهـي الـتـي قَـصَـد الـنَبِـي بِـقَـولِـه
هِـيَ مَـا عَـلـيـهِ أَنَـا وَكُـلُّ صِـحَـابِـي

خاتمة

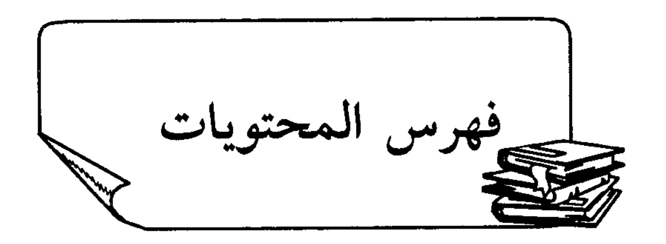
وبعد. . فإذا كَان هذا الحال وقتَ قيام الدعوة وبُعيد نُشوئها؛ فإنَّ الأمر في الوَقت الحَاضِر أضحَى ـ بحمد الله ـ أكثر إِشراقًا؛ فقد أقبل النَّاس عَليها ـ بحمد الله ـ مِن أرجاء المعمورة، وانقشَعت غَياهِب الجهل بها والكَذب عليهَا لدى كثير مِن النَّاس، ولم يَزل طُلابُ العِلم يغترِفُون مِن عذبها النَّمير، وليس هذا شَيئًا عَجِيبًا؛ إنما العجيبُ حَقًّا أن أعداءها قد انتفعُوا بها وإن لم يشعُروا؛ فإنه بعد بُزوغِ شمسِ هذه الدعوة أضحَت مؤلفات أهلِ البدع تتحَفظ كثيرًا، وتحتَاط كثيرًا؛ بل قد تتبرأ من بعض الأخطاء أحيانًا، وهذا يُدركه من سَبر حَال القوم، وهذا مِن عجيب شَأن الحق؛ فشَانِئه قَد يتأثر به بوجه مِن الوُجُوه وإن كان قَاليًا له.

أسأل الله جلَّ **في عُلاه أن** يَجزي أَئِمتَنَا ـ أَئِمَّة الدعوة ـ

عَنَّا وعَن المسلمين خَير الجَزاء، وأن يَرفع دَرجَتِهم في المهديين، وأن يَرزقَ دُعَاة اليَوم حِرصًا على التوحيد كحرصِهم، وهمةً كهمتهم، ونَشاطًا كنشَاطِهم، إن ربنا لسَميع الدُّعاء، وصلى الله وسلم وبَارك على عَبده ورسُوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحَابه وأتباعه بإحسَان.






فهرس المحتويات

